مناهج التفسير في شبه القارة الهندية

حجة الاسلام مرتضى حسين صدر الافاضل
جمهورية باكستان الاسلامية

من أبحاث المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي المنعقد في طهران (جمهورية ايران الاسلامية) في المدة مابين الأول الى الثالث من شهر جمادى الاولى ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ارتأت المجلة نشر الابحاث المتعلقة بالقرآن الكريم منه، مما لم يسبق نشره في مجلة أو بشكل مستقل إعماماً للفائدة بعد تحقيقها وتصويب اغلاطها.

أعدّه للنشر
عدنان اردكاني
احمد حسن محفوظ

بسم الله الرحمن الرحيم:

كانت مكة منذ أقدم العصور، مدينة مقدسة، ومركزا للعرب. وكانت تنماز بميزتين: الاولى، هي وجود بيت الله فيها، والثانية، انها كانت مركز تجارة العالم آنذاك، حيث كانت بضائع الهند والسند، والحبشة، وسواحل الهند، سرنديب (سيلان)، واليمن، والشام، تمر من هناك، وتصدر الى نقاط العالم الأخرى.

وكانت المكانة المقدسة للكعبة من الاهمية بحيث كان الناس من غير العرب يقصد مكة للحج وكان عبدة الاوثان والصابئة واليهود والنصارى يقصدونها لاداء المراسيم

الدينية والاجتماع في الاسواق لغرض التجارة والتداول في الشؤون الدينية والقصص وحكايات الشعوب وابداء الآراء والأفكار ووجهات النظر السياسية وتبادل الآراء وترسيخ علاقات الصداقة ومعرفة العدو والصديق، كما كانت مركزاً للاعلام ايضاً. ولذلك كانت مكة-من الناحية التاريخية والاجتماعية -مكانا جيدا يطمع فيه المستعمرون. ونظرا لأهمية هذا المركز، فقد صمم ابرهة الحبشي الذي كان قد استقل باليمن من الحبشة على ان يظهر قوته ويفتح مكة ويقضي على مكانتها الاجتماعية والتاريخية اذ انها كانت تشكل خطرا بالنسبة له. لذلك استعد بكامل قواه وجهز جيشه بالفيلة التي لم يكن العرب قد الفوها ولكن حسن التدبير وتقدير الباري دفع كيد ابرهة واذهب قوة جيشه واهلكهم.

وفي تلك الظروف السياسية المتأزمة، سطع نور الحق فولد الرسول محمدﷺ من صلب ذرية ابراهيم محطم الاصنام، وشملت رحمة الباري تعالى شعوب العالم.

أجل ولد ابن آمنة ليقطع جذور الاستكبار وعبادة الاوثان.

يقول ابو طالب رضوان الله عليه بحق محمدﷺ:

وأَبيضَ يُستسقي الغمامُ بفيضِهِ ثمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأراملِ

وانقضت اربعون سنة من هجوم ابرهة على مكة. وكانت مكة تعيش في حالة تزلزل في القيم والاخلاق وتناحر الشعراء، وكانت كل قبيلة تفكر بمصلحتها والاغارة على القبائل الأخرى. وفي مثل هذه الظروف كانت هذه المسألة مطروحة في مكة وهي ان ابن عبد الله بن عبد المطلب وابن اخ أبي طالب يتفوه باقوال عجيبة ويطرح افكارا غريبة إذ كان لايقبل بعبادة الالهة القديمة والاصنام التي كانت تعبد من قبل الآباء والاجداد كما يرفض جبروت الانسان ويرفض أيضا الخضوع للاصنام ويحث على عبادة الله ونبذ عبادة الطواغيت والخضوع لهم... انه كلام غريب...

مرت اربعون سنة والرسول يدعو الناس -قولاً وعملاً -الى التحلي بالخلق والتقوى والمحبة وعبادة الله والعفة، عندها عرف الناس بأن له شأنا وسيصبح قاعدة عظيمة وفي تلك البرهة من الزمن نزل عليه الوحي فدخلت دعوته مرحلة اخرى. ولم تكن دعوته

مقتصرة على قراءة الآيات والتدبر فيها والاعتقاد بالله وحده، بل كانت تدعو الى الامر بالمعروف والنهي عن المكر والبراءة من العقائد السيئة والشرك وذم جمع المال وتجنب الجاهلية ونبذ الذين يريدون التسلط وجمع المال والذهب. وكانت تدعو للاعتقاد بالقيامة والحشر والنشر والثواب والعقاب. وكان الناس القادمون من اطراف مكة يستمعون الى الكثير من الاقوال حول محمدﷺ وكان المكيون قلقين ازاء هذه الحالة ولايصدقون اقوالهﷺ ويدعون الناس الى نبذها. وبعد انتهاء موسم الحج واطلاع الحجاج من كافة الشعوب والاديان على نبأ ظهور منج للبشر في مكة فان الناس كانوا يستفسرون عنه وعن دعوته من اهالي مكة فكان جواب قسم منهم الاستهزاء بالحقيقة وقسم آخر كانوا يروون القضية بتعجب وقسم آخر يروونها ويتعاطفون معها. ومن جهة اخرى كان الرسولﷺ يستغل كل فرصة وكل مكان ممكن لطرح رسالته على الناس فكانت الضجة التي يفتعلها اعداؤه ووابل الحجارة التي كانت تنهمر عليه من قبل المشركين سببا في توجه أنظار الوافدين من خارج مكة نحوه، وكانت خُطبُه ورسائله القصيرة والآيات القرآنية تترجم من العربية الى لغات أخرى سواء اكانت من قبل السامعين او عن طريق الرواة.

وخلاصة القول؛ ان مرحلة تفسير القرآن بدأت منذ تلك الفترة التي كانت فترة نزول الوحي. وكـان تفسير القرآن من العربيـة الى العربية يتم من قبل الرسول نفسه اما تفسيره الى اللغات غير العربية فكان يتم عن طريق السامعين والناقلين، وفي بعض الاوقات كان الرسولﷺ يرسل بعض اصحابه او يستعمل الافراد الذين يجيدون لغة اخرى غير العربية كمترجمين لابناء تلك اللغة، وكان من بين اصحاب رسول الله افراد غير عرب كسلمان الذي كان يجيد الفارسية وصهيب الذي كان يجيد الرومية وبلال الذي كان يجيد الحبشية ومن غير المستبعد ان اليهود والنصارى الذي كانوا يتكلمون العربية والعبرية ولغات اخرى كانوا يتناقلون المفاهيم القرآنية فيما بينهم.

ولم تكن لتنقضي خمس سنوات على نبوة الرسولﷺ حتى أرسل الرسول الأكرمﷺ اصحابه الى الحبشة فكانت هذه اول هجرة للمسلمين[1] اما هجرتهم الثانية الى الحبشة

فقد ترأسها جعفر بن ابي طالب اخو علي بن طالب عليه السلام وكانت الحبشة مملكة غريبة على المسلمين ودينها منفصلا عن دين مكة والظاهر ان اهل الحبشة كانوا يستفسرون عن هجرة ورسالة الرسول واحواله. وبالطبع فقد كان المسلمون يجيبون عن أسئلتهم ويقنعونهم. ووصل الحبشة اثنان من العرب يمثلان المشركين وطلبا من النجاشي أن يسلمهم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فقرر النجاشي ان يعقد مجلسا للتشاور في القضية وطرحها بين الجميع ومعرفة الحقيقة.

وتشكل المجلس الذي حضره اعيان الدولة واصحاب الكنيسة وممثلا مشركي مكة والمسؤولون عن المهاجرين المسلمين... ووصل الامر الى أن يقرأ جعفر بن ابي طالب آيات من سورة مريم بعدها طرح النجاشي بعض الأسئلة وبعد ان حصل على الجواب توجه نحو الحاضرين فقال: (والله ان كلام محمد لايختلف مطلقا عن عقيدة المسيحيين. فكل ما يقوله القرآن عن المسيح موجود في الأنجيل بحذافيره).

وبديهي ان الاكثرية الحاضرة في المجلس بما فيها النجاشي كانت تتكلم اللغة الحبشية وكان الكلام يترجم من قبل احد الحاضرين، وانني اعتقد بأن جعفر بن ابي طالب كان يجيد اللغة الحبشية وهو الذي قام بترجمة الآيات الى تلك اللغة[٢] ان هذه الواقعة كانت اول قضية ترجمت فيها الآيات القرآنية في مجلس يضم اشراف ذلك الزمان. اما الواقعة الثانية فكانت في منطقة سند هند المسماة اليوم بباكستان.

والظاهر ان التجـار كانوا ينقلون ثقافة وآراء شعوبهم الى الشعوب الأخرى ومن المؤكد ان التجار الذين كانوا يحتكون بالعرب وينقلون السلع الكثيرة عن طريق مينائئ (ديبل) و(سورت) كانوا مطلعين منذ بداية الدعوة الاسلامية على اول تفسير للقرآن باللغة السندهية ومن المؤكد ايضا انهم نقلوا الروايات والوقائع المحيرة الى شعوبهم. ومما يؤيد ذلك انتشار الاسلام عن طريق البحر في (ديبل) و(سند هند) و(الرور) وعن طريق البر من مناطق (قصدار) و(كابل) و(ملتان) حيث كان المسلمون مطلعين على هذه الطرق وكانوا يعرفون عادات وتقاليد الناس.

كما ان التجار والسياسيين والمبلغين والسفراء والحاشية او عامة الناس والعسكريين يأتون الى هذه المناطق لدراسة طبيعتها من الناحية العسكرية[٣] وبالطبع فقد كانوا يقيمون الصلاة ويقرآون القرآن ويتباحثون مع العلماء ويترجمون مطالب واهداف القرآن الى اللغة المحلية لكل منطقة الا ان ترجمتهم كانت تقتصر على توضيح معاني القرآن ولم تكن عميقة تبين فلسفة الاحكام والبحث والجدل، الى ان حان يوم وصول المسلمين الى أرض باب الاسلام سند هند (باكستان اليوم) ويظهر التاريخ بأن سكان هذه الارض قاوموا المسلمين في البداية وذلك لعدم تعرفهم عليهم ولكنهم سرعان مابدأوا يحترمونهم حين اطلعوا على اخلاقهم وافكارهم واستمرت هذه الحالة الى ان بني آل هبيرة مدينة باسم المنصورة[٤] التي اصبحت مقرا لدولة المسلمين هناك. كان ذلك في القرن الثالث الهجري. وطلب الراجا رائكس بن مهروق الذي كان حاكما على منطقة الرور من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز[٥] الذي كان واليا في سنة ٢٣٠هـ[*] ان يفسر القرآن له فامر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز احد العلماء العراقيين ممن كانوا يجيدون لغة الناس هناك بأن يفسر القرآن. وحسب رواية سايح سند هند بزرك بن شهريار صاحب كتاب عجائب الهند فان القرآن الكريم ترجم الى حد سورة يس على الاقل وكانت الترجمة باللغة الهندية وسمعها الراجا[٦] ونقصد باللغة الهندية، اللغة السنسكريتية التي كانت اللغة العلمية هناك.

وانني اعتقد بان هذا التفسير كان واضحا وسهلا يتلاءم مع مستوى العامة. وللاسف لايوجد -اليوم -اي أثر لذلك الكتاب.

ومنذ ذلك الوقت والى مابعد فتوحات السلطان محمود الغزنوي لم نعثر على تفسير للقرآن الا تفسير السيد اسماعيل بن محمد البخاري (المتوفي سنة ٤٤٨هـ) الذي كان يفسر القرآن للناس تفسيرا خطابيا وبيانيا باللغة الفارسية في مدينة لاهور[٧].

اننا نعرف بان اهم التفاسير التي كانت تطالع من قبل العلماء والمتطلعين الى القرآن كانت عبارة عن كتاب (التبيان في تفسير القرآن) لشيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي المتوفي

سنة ٤٦٠هـ، وتفسير الكشاف لجار الله الزمخشري المتوفي سنة ٥٣٨، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي المتوفي سنة ٦٠٦هـ، وتفسير البيضاوي، وكان هؤلاء ينتخبون التفاسير ذات الاساليب الجدلية والفلسفية والعرفانية المختلفة.

وبعد ان قويت شوكة المجتمع الاسلامي، واتسعت المدارس، ظهر تفسير آخر للقرآن باسم «تفسير غرائب القرآن «بقلم» نظام اعرج النيسابوري القمي الدولة آبادي» في منطقة الدكن. وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الحضرة الرضوية في مشهد. كما طبع هذا التفسير في ثلاثة مجلدات في طهران عام ١٢٨٠ هـ وقد ذُكر تاريخ التأليف في كل نسخة منها والامر الذي يثير الانتباه ان هذا التفسير يضم نص القرآن ايضا وتوجد في اسفل النص ترجمة باللغة الفارسية واعتقد ان هذا الكتاب قد ترجم في الدكن ويحتمل ان الذي ترجمها هو احد العلماء. واذا ماثبت هذا الشيء فان هذه الترجمة تعدّ أقدم ترجمة فارسية في الهند.

وفي عهد اكبر شاه اتسعت آفاق دراسة ومطالعة القرآن في (اكره) و(لاهور) ومنذ ذلك الزمن اصبح لدينا اربعة تفاسير وحواشي منها حاشية نور الله الشوشتري (الشهيد الثالث ١٠١٩ هـ) في تفسير البيضاوي ورسائل ومباحث اخرى على الآيات في العربية الا ان اشهر تلك التفاسير هو تفسير علي رضا تجلي المتوفي ١٠٨٥ هـ.

واول من غير طريقة التفسير واوجد فيها تحولا هو العالم الحنفي ولي الله المحدث الدهلوى (المتوفي سنة ١١٧٦) الذي الف كتاب (الفوز الكبير في اصول التفسير) باللغة العربية وقد طبع عدة مرات وقد اوصى المؤلف المذكور بترك تقليد القدماء والف كتابا باسم «حجة الله البالغة» بيَّن فيه فكر وفلسفة المجتمع واسلوب التفكر في الحديث والقرآن.

وفي القرن الثلث عشر الهجري دخل الانجليز بسياستهم وثقافتهم الى الساحة واصبحوا حجر عثرة في طريق تقدم المسلمين في شبه القارة الهندية وعملوا على سلب الحرية التي كان يتمتع بها المسلمون الهنود منذ سبعمائة سنة. وبالرغم من مجاورة المسلمين

للهندوس الا ان علاقتهم بالقرآن والعلوم القرآنية حالت دون تسرب فلسفة وعقائد شعوب الهند الى كتب تفسير المسلمين فالثقافة الاسلامية تسود كل مكان وان اللغتين العربية والفارسية هما اللغتان العلميتان المتبعتان في التدريس هناك وخلاصة كلامنا ان اهداف ومناهج تفسير القرآن كانت منذ القرن الثالث وحتى القرن الحادي عشر الهجري على الشكل المدرج ادناه:

١. ابلاغ المباحث القرآنية الى عامة المسلمين عن طريق اللغة الفارسية المبسطة واللغة العربية.
٢. تفسير القرآن بطريقة علمية تتناسب مع فقه واعتقادات المذاهب كافة.
٣. البحث في القراءة والصرف والنحو وبيان ترابط الآيات والسور.
٤. البحث في الفلسفة -بصورة مختصرة -والادب، وبحث آراء المفسرين الشيعة والسنة منهم على حد سواء.
٥. العرفان والتصوف.
٦. والطريقة الخاصة والمتبعة هي استعمال اللغة العربية والفارسية وقد استعملت اللغة الفارسية اكثر من اللغة العربية. وقد ترك دخول القوات الانجليزية وتسلطها على شبه القارة الهندية اثرين هما:-

١. نشر وتوزيع الكتب والرسائل الدينية المسيحية بين الناس وحث المسلمين على ترك دينهم ليصبحوا نصارى والتحامل على القرآن والعقائد الاسلامية.
٢. توزيع نسخ محرفـــة من القرآن الكريم باللغتين الانجليزية والاردية وبالحروف الانجليزية اولا والأُردية ثانيا ولذلك أُجبِر المسلمون على النهوض والدفاع عن القرآن فاستعملوا اللغة الاردية في الكتابة وكانت تلك الخطوة تحولا عظيما جعل تفسير القرآن في متناول عامة الناس بعد ان كان مقتصرا على طلبة العلوم الدينية.

وقد وضعت عدة تفاسير وترجمات للقرآن اشتهرت بالحواشي وكان الهدف منها هو حث المسلمين على عدم قراءة التفاسير الاخيرة ولم تتطرق هذه التفاسير الى القصص

القرآنية وكانت بعيدة عن الاختلافات المذهبية.

وفي هذه الاثناء ادعى السيد احمد خان الذي يعتبر مؤسس جامعة علي كزه(مسلم يونيورس) انه تمكن من ان ينسق افكار ووجهات النظر الاوربية مع افكار المسلمين. وكانت وجهة نظره تتلخص في جمع القولين المسيحي والاسلامي وعما يقوله التوراة والانجيل وما يقوله القرآن. ونتيجة لضغط الانجليز عليه لم تتحقق أمنيته. وللسيد احمد خان رسالة مستقلة يبين فيها وجهة نظره وطريقته الجديدة في التفسير فوجّه انظار العلماء والجماهير نحوه وللمزيد من الاطلاع يرجى ملاحظة كتاب «مكاتبات الخلان»[٨] وكتاب التحرير في اصول التفسير»[٩].

وبعد ذلك بدأ تفسيره للقرآن ولكنه لم يتم تفسيره بالرغم من انه فسر بعض السور والآيات وجمعها في كتاب اسماه « التفسير الاحمدي » وقد طبعت ترجمته الفارسية في طهران.

وبعد شيوع هذه الافكار وقف جميع المسلمين والعلماء في شبه القارة الهندية بوجهها ولكن الانجليز ايدوا السيد احمد خان. كما ان السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) اصدر بيانات رد فيها على افكار السيد احمد خان كما الف كتابا باسم» رسالة رد نيجرية» للغرض نفسه وعلى اثر ذلك ظهرت تفاسير مهمة كما ظهرت أساليب جديدة للتفسير منها اساليب مدرسة المفكرين المتغربين بزعامة مولوي جراغ علي وسيد احمد خان، والمدرسة الاسلامية الحقيقية ومن المفسرين الذين ينتمون الى هذه المدرسة: عبد الحق حقاني صاحب تفسير حقاني (وهذا التفسير يضم عدة مجلدات ويرد فيها على سيد احمد خان والنصارى)، وتاج العلماء سيد علي محمد(الذي كتب رسالة للرد فيها على افكار سيد احمد خان)، وسيد محمد حسين محقق هندي الذي الف كتاب البرهان في تفسير سورة الاسراء. وقد اتبع هؤلاء العلماء الاسلوب نفسه الذي اتبعه الشيخ محمد عبده ورشيد رضـــا والشيخ محمد جواد البلاغي -في الدول العربية ونعني بهذا الاسلوب، محاربة الافكار الاستعمارية وعدم الخضوع لها والاتكال على القرآن في كل مكان.

اذن علينا ان نبدل اسلوب التملق وان نرفع المستوى الفكري وان لاتكون نظرتنا ضيقة ومحصورة في محيط واحد.

ان القرآن كتاب للجميع لذلك يلزمنا علينا ان نعمل على إثمار هذه الجهود. لقد تحررت شبه القارة الهندية واقام المسلمون هناك دولة باسم جمهورية باكستان الاسلامية.

وملخص القول ان هناك نهضة فكرية للتفسير ظهرت من القرن الثالث عشر الهجري وحتى القرن الرابع عشر وكانت عبارة عن:

١. الضغط على الافكار الاستعمارية والرد عليها.
٢. العمل على وحدة الشعب والاستعداد من أجل الكفاح ضد التفرقة بالاتكال على القرآن الا ان تلك الجهود كانت تتقدم ببطءٍ.
٣. تغيّر طريقة التفسير والبيان وظهور صفة الدفاع والنضال بصورة تدريجية.
٤. رغبة الناس خلال هذه الفترة الزمنية في ايجاد حل قرآني للمسائل المستحدثة كمسألة نظام الحكم والسياسة والاقتصاد والحرية.

وهذه اهم النقاط التي ادخلت القرآن في معترك الحياة هناك.

ان استقلال شبه القارة الهندية ووجود دولة باكستان فتحا آفاقا جديدة للافكار الاسلامية وبدأت الاستفادة مجددا من كنوز القرآن. وكان للباكستان كسائر الدول الاسلامية مدرستان: الاولى مدرسة مايسمى بالمثقفين بزعامة سيد احمد خان والاخرى بزعامة السيد جمال الدين الاسد آبادي وقد استفاد اغلب الباكستانيين من العلامة محمد اقبال الذي استفاد هو بدوره من الشيخ عبد علي الهروي الطهراني ومنذ اعلان استقلال الباكستان ولحد الآن ظهرت تفاسير كثيرة للقرآن باساليب سياسية وتحررية وتتعلق بالشؤون الثقافية والاجتماعية. كما انجزت اعمال كثيرة في هذا الصدد.

انني ادعوكم وضمن تعريفي لتأريخ التفسير، والتفسير في شبه القارة الهندية ادعوكم الى مراجعة مقالتي المنشورة في كتاب «دايرة المعارف اسلامي» في جامعة لاهور. كما ارجوكم مطالعة الكتب الاردية، ذلك ان اللغة الاردية تعتبر من اللغات العالمية المهمة

وهي لغة المسلمين في الباكستان.

اسلوب التفسير باللغة الفارسية: لابد ان نشير الى ان مطالعة التفاسير العربية والفارسية من قبل ابناء شبه القارة الهندية تعود الى ستمائة سنة خلت كما انهم الفوا كتبا في هذا المجال وتعدّ بعض هذه التفاسير من التفاسير القيمة نذكر بعضا منها هنا:

١. تفسير غرائب القرآن في رغائب الفرقان تأليف محمد بن حسين الشافعي القمي الدولة آبادي والمعروف بتفسير النيسابوري، ان هذا التفسير طبع في مصروفي حاشية الطبري[١٠] دون وجود النص القرآني والترجمةالفارسية كما يوجد هذا التفسير في ايران مع ترجمة فارسية ويوجد اصل هذه النسخة في المكتبة الرضوية وهو مخطوط في حيدر آباد وتعتمد هذه الطريقة من التفسير على ترجمة الآيات القرآنية من التفسير العربي الى الفارسية ويعتبر هذا الكتاب اول نموذج لذلك كما يوجد كتاب تفسير خواجكي شيرازي في بعض الفهارس وهو خلاصة تفسير «مجمع البيان» للطبرسي[١١] وهناك تفاسير مسبطة ومفهومة مع ترجمات كثيرة لايعرف اسماء اصحابها.

٢. تفسير (بحر الامواج) بقلم شهاب الدين الدولة آبادي (قاضي جون بورهند) ويعتمد على الاسلوب الهندي وهو من التفاسير القديمة ويحتوي على بحوث لغوية وأدبية في اللغة العربية وفي العقيدة وقد دافع المؤلف في كتابه عن الفقه الحنفي.

٣. تفسير علي رضا تجلي المتوفي سنة ١٠٨٥هـ وكان من التفاسير المشهورة عند الشيعة.

٤. تفسير نور الدين نعمة الله ولي الشافعي وهو تفسير ضخم ومعروف باسم «نعمت اعظمي» وأسلوب هذا التفسير يعتمد على اسلوب الاساتذة القدماء واللغتين الفارسية والهندية ويحتوي على مباحث فقهية وفق المذهب الشافعي وهذا التفسير موجود في مكتبة المرحوم السيد علي الحائري في لاهور[١٢].

٥. ترجمة ومقدمات ومباحث تفسير شاه ولي الله محدث دهلوي المتوفي سنة ١١٧٦هـ وهو من التفاسير القيّمة.

٦. تفسير «لوامع التنزيل» للسيد ابو القاسم الحائري المتوفي سنة ١٣٢٣هـ وابنه المتوفي

سنة ١٣٦٠هـ وهو تفسير في اكثر من عشرين مجلداً ولقد رأيت الجلد السابع والعشرين منه –وبخط المؤلف –وكان قد وصل في تفسيره الى الآية العاشرة من سورة القمر.

فهرست التفاسير العربية:

هناك كتب عربية في تفسير القرآن الكريم أو بعض آياته وسوره، وهي كثيرة. ومن التفاسير القيّمة والتي تستحق المطالعة:

١. تفسير «تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير الى اعجاز القرآن» تأليف مخدوم علي مهائم المتوفي سنة ٨٣٥هـ وطريقة المؤلف في التفسير واضحة من اسم الكتاب. فبعد ان يتطرق المؤلف الى اعجاز ربط الآيات القرآنية والسور، فأنه يتطرق الى فلسفة وعرفان ابن العربي والفقه الشافعي. كما ان اسلوبه يعتبر ممتازاً وسلساً وغير معمَّق.

٢. «منبع عيون المعاني» تأليف الشيخ مبارك بن خضر ناكوري الدكني المتوفي سنة ١٠٠١هـ وقد استخدم الكاتب اسلوب فخر الدين الرازي ولم يكن هذا الكتاب في متناول اليد الى ان اخبرنا السيد آقا مهدي بأن ذلك الكتاب موجود بكامله في مكتبة جدّة ممتاز العلماء في لكهنو.

ويوجد تفسير عجيب للقرآن باسم «سواطع الالهام» لمؤلفه الملاّ فيضي بن الملاّ مبارك وتم طبع هذا التفسير في لكهنو عدة مرات. وتجدر الاشارة الى ان الملا فيض كان شاعر «اكبر شاه التيموري» وقد توفي سنة ١٠٠٤هـ.

٣. التفسير المظهري/ تأليف قاضي محمد ثناء الله باني بتي الحنفي/ المتوفي سنة ١٢٢٥هـ– ويدور البحث في هذا الكتاب عن الصوفية والفقه والعقائد الحنفية وهو كتاب مطبوع ومعروف عند الحنفية وله اسلوب جدلي.

٤. تفسير «فتح البيان في مقاصد القرآن» تأليف نَوّاب صديق حسن خان المتوفي سنة ١٣٠٧هـ –وقد طبع في بولاق والهند وهو تفسير سلس ورائع وموضوع باسلوب جدلي. والمؤلف له كتاب آخر هو «نيل المرام في احكام القرآن» وهو مطبوع أيضا.

٥. تفسير القرآن بكلام الرحمن/ تأليف ثناء الله التستري المتوفي سنة ١٩٤٨م وهو مطبوع

ايضا. وبما ان هذه التفاسير تخلو من ذكر أهل البيت وتتحامل على عقائد الشيعة فان طريقة التفسير عند الشيعـــة تظهر فضائل اهل البيت عليهم السلام وترد على اشكالات المعترضين.

٦. تفسير روائع القرآن في فضائل الرحمن: تأليف مير محمد عباس شوشتري لكهنوي المتوفي سنة ١٣٠٦هـ. طبع هذا الكتاب سنة ١٢٧٧هـ. في لكهنو واعيد طبعه عدة مرات.

تفاسير القرآن باللغة الانجليزية:

والشيء اللافت للنظر فيما يتعلق بتفسيرالقرآن في شبه القارة الهندية هو تفسيره باللغة الانجليزية. فقد كان العلماء يعتقدون بأن عليهم تفسير القرآن باللغة الانجليزية ليتسنى للانجليز دراسة القرآن – ومن هؤلاء العلماء السيد حسين بلكرامي ابو الفضل الله بادشاه حسين، وما رماد يوك بكتهال.

وهناك اشخاص آخرين فسروا القرآن بالانجليزية ومن اشهر هؤلاء:

١. عبد الله يوسف علي: طبع تفسيره في لاهور وهو تفسير قيم من حيث البساطة واللغة الادبية.

٢. ميرزا مهدي بويا وحسن عسكري وتفسيرهما مطبوع في كراتشي ويعتبر هذا التفسير ممتازا من الناحية العرفانية والفلسفية وتعريف مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان القرآن قد ترجم الى الانجليزية ولغات اخرى من قبل الفرقة القاديانية، وهذه الفرقة شأنها كشأن الفرقة البهائية وتعتبر من الفرق الخارجة عن الاسلام وعميلة للمستعمرين وللاسف فان بعض المسلمين غافلين عن هذه الحقيقة ويقدمون المساعدات لتلك الفرقة.

وبالاضافة الى هذه التفاسير هناك تفاسير اخرى باللغات المحلية في شبه القارة الهندية كاللغة الهندية والنجابية ولغة البشتو والكجراتية والسندهية اما الاساليب المتبعة في هذه التفاسير فهي اساليب تخلو من هدف معين، وكانت فكرية بحتة وتبين وجهة نظر المفسر

كما ان اكثر هذه التفاسير هي تفاسير تقليدية الا انها تمتاز بميزات جيدة.

اسلوب ومنهج التفاسير:

للتفسير باللغة الاردية ميزات منها:

١. توضيح التعاليم القرآنية للمسلمين كافة.
٢. الرد على الحملات الاعلامية التي يشنها غير المسلمين ضد الاسلام.
٣. اتباع الاسلوب الفكري او الابتكار في اسلوب التفسير.
٤. الاسلوب الادبي والخطابي السلس بأقسامه المختلفة. استعمال التفسير للرد على عقائد وافكار المذاهب الاسلامية باسلوب عرفاني ومنطقي وجدلي وفقهي واعتقادي.
٥. تفسير القرآن بالاسلوب الفكري والسياسي والثقافي والاجتماعي بحيث يتلاءم مع وجهة نظر القرآن.

وبما ان هذا الموضوع عميق فاننا سوف نتطرق الى تفاصيله في مناسبات اخرى. ونورد هنا اسماء بعض اهم المفسرين ومنهم عبد الحق حقاني صاحب «تفسير حقاني» ومولانا احمد رضا خان بريلوي، ومولانا اشرف تهانوي، ومولانا حسن وبشبيرا احمد عثماني، ومولانا ابو الأعلى المودودي.

ومن اشهر المفسرين من علماء الامامية الذين رحلوا الى دار الآخرة: تاج العلماء علي محمد، ومحمد قلي خان، وعمار علي، ومقبول احمد، وحافظ فرمان علي، وراحت حسين كويال بوري، وامداد حسين كاظمي.

وقد استعمل هؤلاء اسلوب الدفاع عن القرآن الكريم واهل البيت عليهم السلام في تفاسيرهم، كما قام ميرزا امداد علي بترجمة كتاب (خلاصة المنهج) من اللغة الفارسية الى اللغة الاردية.

وكما اوضحنا سابقا فان اسلوب تفسير القرآن الكريم قد تغيّر الى حد ما بعد استقلال الباكستان، حيث ظهر اتجاهان فكريان، احدهما قومي والثاني يقوم على اسس اسلامية. وكانا في نزاع وجدل الى ان انتصرت الثورة الاسلامية في ايران، حيث شكّلت دعما قويا للاتجاه الفكري الاسلامي الذي تمكن من مجابهة المستغربين (اصحاب الميول الغربية).

الهوامش:

(١) لقد بيَّنت وجهة نظري السياسية والنضالية في قضية هجرة المسلمين الى الحبشة وذلك في مجلة (نقوش سِيَرتْ) نمير، لاهور (طبع سنة ١٤٠٢هـ. ق).

(٢) يرجى مراجعة ديوان ابي طالب/ ط النجف. فذلك الديوان يضم اشعارا تدل على وجود علاقات قديمة بين الهاشميين والنجاشي.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري/ باب فتوح السند والهند/ ط مصر.

(٤) وهي اليوم اطلال تقع في (ولاية) في السند.

(٥) يرجى مراجعة مجلة اورينال كالج الصادرة في لاهور(باكستان) بتاريخ مايس ١٩٥٥م.

(*) ربما كان هذا التاريخ غلطاً طباعياً والصواب هو (١٣٠ هـ) لان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولان يزيد بن الوليد بن عبد الملك على العراق سنة (١٢٦هـ). راجع حوادث هذه السنة في الكامل لابن الاثير -ج٤.. المجلة.

(٦) عجائب الهند/ ص٣/ ط ليدن سنة ١٨٨٣ -١٨٨٦م.

(٧) تذكرة علماء الهند/ تاليف رحمن علي/ ط لكهنواً وحدائق الحنفية/ تأليف فقير محمد للك.

(٨) طبع محمد عثمان مقبول -سنة ١٩١٥م-.

(٩) طبع آكره/ الهند سنة ١٨٩٢م.

(١٠) مصر/ سنة ١٣٢١هـ. ق وقبل هذا التاريخ في طهران.

(١١) مقدمة التفسير بقلم علي نقي/ ط لكهنو. ص ٢٣١ واستورى.

(١٢) تجدر الاشارة الى اني نسبت الكتاب الى نعمة الله خان عالي شيرازي وذلك في كتاب -دايرة معارف اسلامية نقلا عن استوري وعلي تقي ولكني عندما لاحظت الكتاب تبيَّن الي بأنَّ الكتاب لايعود الى نعمة الله خان عالي شيرازي.